

أضواء البيان

@ 64 @ المعنى : لو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة ، وبعثنا في كل قرية نذيراً يتولّى مشقة إنذارها عنك ، أي : ولكننا اصطفيناك ، وخصّصناك بعموم الرسالة لجميع الناس تعظيماً لشأنك ، ورفعاً من منزلتك ، فقابل ذلك بالاجتهاد والتشدد التام في إبلاغ الرسالة ، و { لَا تُطِيعُوهُ * الْكَافِرِينَ } . .

وما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من اصطفائه صلى الله عليه وسلم بالرسالة لجميع الناس ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } ، وقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } ، وقوله : { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ } ، وقوله : { وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } . .

وقد قدّمنا إيضاح هذا في أوّل هذه السورة الكريمة ، في الكلام على قوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } ، وقوله : { فَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ } ، ذكره أيضاً في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : { وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَرِيقِينَ } ، وقوله : { وَلَا تُطِيعُوا مَن فِيكُمْ عَائِماً أَوْ كَفُوراً } ، وقوله تعالى : { وَلَا تُطِيعُوا مَن أَعْزَفَلَا نَا قُلُوبُهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } ، وقوله تعالى : { وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ } . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { وَجَاهِدُوهُمْ بِهِ } ، أي : بالقرآن ، كما روي عن ابن عباس . .

والجهد الكبير المذكور في هذه الآية هو المصحوب بالغلظة عليهم ؛ كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلَظَةً } ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } ، وقوله تعالى : { فَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ } ، من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يطيع الكافرين ، ولكنه يأمر وينهى ليشرّع لأُمَّته على لسانه ، كما أوضحناه في سورة (بني إسرائيل) . { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً } .

